

سلسلة النصائح الذهبية (١٣)

سر الحقيبة
التي دمّرت حياتي

تأليف

د.أحمد عبدالعزيز الحصين

حقوق الطبع محفوظة

سر الحقيقة التي دمّرت حياتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله وصحبه... وبعد:

فإنه من منطلق غيرتي على المجتمع الإسلامي على وجه العموم، وعلى المجتمع العربي على وجه الخصوص، وعلى المجتمع الخليجي على وجه أخص، أقدم تلك السلسلة من النصائح الذهبية، لعل الله أن ينفع بها من يقرأها، وأن تكون سبباً من أسباب الهداية إلى الطريق المستقيم، في زمن تعددت فيه السبل والطرق الملتوية، وعلى رأس كل طريق شياطين من الإنس والجن، يسهلون فيه ارتكاب الفحشاء والبغي والمنكر، ويصدون عن سبيل الله، ويحاربون كل صيحة تصدح بالحق، ويحاولون تكميم أفواه الداعين المخلصين إلى الله... فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

د. أحمد عبدالعزيز الحصين

سر الحقيبة التي دمرت حياتي

بيئة صالحة

عاش سنوات طفولته وصباه في أسرة صالحة، الأب لا يفارق المسجد من عمله إلى بيته فإذا حانت الصلاة قام مع ولده عثمان إلى المسجد لأداء هذه الفريضة الواجبة.

وكان الحب والحنان يتدفق عليه من والديه، وكان محبوباً في الحي وفي المدرسة، ويشهد عليه القريب والبعيد لأنه كان يتحلى بالأخلاق الجمّة والآداب الرفيعة والأخلاق الكريمة.

وقد أُهديت إليه عدة جوائز في المدرسة بسبب تفوقه العلمي والرياضي، وهكذا عاش عثمان حياة هادئة وهنيئة في واحة من الإيمان والسعادة الإيمانية والروحانية التي تسري في جسده.

وقد حدث أنه في يوم من الأيام أصيب بمرض ونُقل على إثره إلى المستشفى للعلاج، وهناك مكث أسبوعاً كاملاً، وإذا بالضيوف تأتيه من كل حدب وصوب ذهاباً وإياباً للاطمئنان

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

على صحته، وحين رأى تلك الجموع الداخلة والخارجة أذرفت دموعه من الفرح، وشعر أن هؤلاء يحبونه في الله لطيب أخلاقه ورباطة جأشه واحترامه لنفسه، واعتبر حب الناس له كنزاً ما بعده كنز.

ومضت السنوات وتخرج عثمان من الثانوية وأصبح من الأوائل، ومن ثم التحق بكلية الهندسة. قسم الإلكترونيات، وكان لتفوقه أن أُختير ليقوم ببعثة علمية تثري دراسته ونبوغه العلمي الملحوظ، وكانت تلك البعثة موجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فنال هناك درجة الماجستير، ثم الدكتوراه في تخصصه.

وكان حسنُ السيرة في بلاد الغرب، فلا تستهويه الأهواء، ولا تجرفه التيارات الهائجة، ولا الأمواج العاتية، ولا الرياح الجارفة، بل كان ملتزماً بتعاليم دينه متمثلاً في القرآن الكريم والسنة الطاهرة، وقضى سنوات البعثة وهو في قمة الطهارة والمروءة.

وحينما انتهت تلك البعثة عاد إلى وطنه، وطن الإسلام

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

والعادات والتقاليد الحميدة، وعُين في مجال تخصصه، في إحدى وزارات الدولة، وكان نشيطاً في عمله، مخلصاً محبوباً بين زملائه الموظفين وكبار المسؤولين في الوزارة.

وكان يستثمر أوقاته في كل ما هو مفيد له ولوطنه ولأسرته، فكان يقضي أوقاته بعد انتهاء عمله اليومي ما بين مختبره الصغير في بيته، أو يقوم بدراسات وبحوث على الكمبيوتر، والإنترنت إلى آخره.

== سر الحقيبة التي دمّرت حياتي ==

المدير العام

ونظراً لنشاطه الوظيفي وإخلاصه وانضباطه في العمل،
والتقارير التي تؤخذ عن سيرته في عمله جعلت الوزير
يرشحه لمنصب المدير العام . ونال عثمان ما كان يتمناه في
فترة قصيرة، وأصبح مديراً عاماً للوزارة.

ولم يتغير أسلوب حياته، ولم يداخله الكبر ولا التعالي
ولا التفاخر بما وصل إليه من جاه وسلطان، بل كان
متواضعاً لله سبحانه وتعالى، وكان من حسن تعامله مع
موظفيه ألا يفرق بين موظف وآخر بصرف النظر عن
المنصب أو الوظيفة، فالكل عنده سواء، فلا فرق بين هذا
وذاك إلا بالتقوى والعمل الجاد الصالح.

خطب فتاة أعجبه، وتم الزواج، وقضيا شهر العسل في
ربوع أوروبا وضواحيها، فهما شابان لا هم لهما في الحياة
إلا الفرح والسعادة .

وكانت السعادة لا تفارقه حيث ينظر إلى جمالها ويتغزل
فيها ويقول لها أنت أجمل امرأة في الوجود؟

سر الحقيبة التي دمرّت حياتي

وكلما نفخ فيها تزداد انتفاخاً وغروراً، ونسى هذا المسكين
قول الرسول ﷺ: «خير النساء من تسرك إذا أبصرت،
وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك»
(الطبراني بإسناد صحيح).

زوجة مسرفة

ومع مرور الأيام رُزق عثمان من زوجته ولدين، ثم لاحظ بأنها مسرفة ومبذرة لا همّ لها في الحياة إلا إشباع رغباتها وشهواتها، وأخذت ترهقه بمتطلبات فوق طاقته، وفي أيام الصيف كانت تطلب منه السفر إلى الخارج للاستجمام، فهذا العام في النمسا، والآخر في بريطانيا والثالث في ألمانيا، وهو لا يرفض لها طلباً حرصاً على حياته الزوجية، ومصير أبنائه منها، وكان يحبها حباً جماً، فلم يرفض لها طلباً، وازدادت طلباتها بشكل مثير وأخذ يعمل فترة مسائية لمواجهة متطلباتها.

وأصبح مثلاً للزوج المطواع الذي يجيب دائماً بـ«نعم»!! وكثرت الطلبات وازدادت النفقات، ولجأ إلى الاستدانة من زملائه، وكثرت عليه سندات الدين، وأخذ الدائنون يهددونه إما الدفع وإما السجن... وخرج هائماً على وجهه... ماذا يفعل... من أين يسد هذه الديون الطائلة التي تورط فيها.

سر الحقيبة التي دمرَّت حياتي

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر
كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني
إسرائيل كانت من النساء.»

سر الحقيبة التي دمرَّت حياتي

النصيحة الصادقة

وقادته قدماه إلى زميل قديم، يتسم بالصلاح والتقوى،
وصدق النصيحة، وشرح له ما فيه من هم وغم بسبب تلك
الزوجة المستهتره اللعوب، فقال له طلقها لأنها امرأة سيئة،
وغير جديرة بأن تكون لك زوجة، والزوجة التي لا تقف مع
زوجها في السراء والضراء لا تستحق أن تكون زوجة، ولكن
حبه لها كان أقوى من أن يتخلى عنها، فقد ملكت عليه قلبه،
وسيطرت على وجدانه، فلا يستطيع الفكك من أسرها، ولا
الهروب من أسوار سجنها.

النصيحة الشيطانية

وعندما انقطعت به السبل، بعدما رفض النصيحة الذهبية التي أهداها له زميله القديم، في وقت نفتقد فيه إلى الناصح الأمين، ذهب إلى زميل آخر لا يعرف إلا لغة ومسلك الشيطان، فهو فاشل في حياته، لا يعرف للقيم والمبادئ طريقاً، فقال له:

* يا أخي إن الديون أرهقتني وهُدّدت بالسجن فما رأيك؟
* قال له اطمئن سأقضي عنك كل هذه الديون لأنك عزيز عليّ والمسلم أخو المسلم، ولا بد أن يساعد بعضنا بعضاً، واصطحبه إلى بيته وأعطاه شيكاً بمبلغ كبير كفيل بأن يسدّد به دينه، فطار به فرحاً وأمطره بوابل من القبلات، وقال له لن أنسى لك هذا المعروف أبداً ما حييت.

وأخذ عثمان يتردد على هذا المجرم، ويستدين منه المبالغ الطائلة، وينفق على زوجته المسرفة، حتى تراكمت عليه الديون كالجبال، وهو في سكرات الغفلة وعالم الخيال ولا يرى إلا صورة زوجته الجميلة اللعوب وهي تتلون له بوسائل الزينة المختلفة، وهو كالتيس رهن إشارتها، وطوع بنانها.

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

الحقيبة المدمرة

وبعد فترة من الزمن طالبه صديقه بأن يسدد مبلغ الشيك الذي أعطاه إياه، فرد عليه صاحبنا قائلاً: لا أملك مالاً واعطني مهلة... قال له، كيف أمهلك وأنت مدان لي بمبلغ كبير تعجز عن دفعه إلا بعد سنين.

رد عليه قائلاً: ما العمل إذن؟

قال له: الأمر في غاية البساطة وسهل جداً...

قال له: كيف؟

رد قائلاً: تعمل عندي وتحت حسابي بهذا المبلغ وأوجهك كيف أشاء ومتى أشاء وإن رفضت فالسندات بتوقيعك وما عليّ إلا أن أرفع سماعة التلفون تجد نفسك في غياهب السجون.

قال له: كما تشاء. المهم ألا يعلم أحد من أهلي بذلك الأمر ألبته.

وبدأ يعمل معه وهو لا يعرف ماذا يعمل، إلا أنه يعطيه

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

حقيبة سوداء لا يعلم ما بداخلها، ويسلمها لشخص مجهول له أوصاف متفق عليها مسبقاً، وقد شرط عليه صديقه الشيطاني ألا يعرف ماذا بداخل الحقيبة.

وقال له: هذه أمانة؟

وأد الأمانة إلى من ائتمنك.

وأخذ صاحبنا عثمان المغفل ينقل هذه الأمانة الشيطانية إلى تجار المخدرات ويقابل بالشكر والاستحسان والثناء والتبجيل.

وذات يوم وقعت منه الحقيبة السوداء وإذا بالأكياس الصغيرة تتناثر على الأرض وإذا بها مملوءة ببودرة ناعمة بيضاء تفترش الأرض.

لقد كان يحمل في هذه الحقيبة - مخدرات تحطم البشر وتدمر العقول وتخرب البيوت - أشد فتكاً ودماراً من القنابل الذرية والهيدروجينية وهرول صاحبنا مسرعاً ترتجف أوصاله وتصطك أسنانه ويرتعد من شدة الوجع وذهب إلى هذا الزميل الشيطاني وقال له:

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

* ماذا فعلت بي؟

* لم أفعل شيئاً وإنما أردت إنقاذك من السجن والدمار.

* يا ليتني دخلت السجن ولم أكن من المخدوعين.

* رد عليه متهكماً وضحك ضحكة صفراء قاتلاً الدنيا
سجن كبير. وأنت معي لن تشعر بهذا السجن. ستعيش في
الجنة - ستصبح ملياردير - سيحترمك الجميع فنحن في
عصر المال ومن يمتلك المال يمتلك القوة، وشحن عقله
بكلمات مركبه تركيباً شيطانياً فاقتنع هذا الشاب ووضع يده
في يد الشيطان معاهداً أن يكون معه وطوع بنانه.

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

المليونير عثمان

ومرت الأيام والشهور وأصبح عثمان الرجل الوديع المحبوب من أكبر تجار المخدرات وأصبحت الأموال في يده لا يعرف لها حساب وعاش عيشة السلاطين.

وأخذت زوجته تشتري الأزياء والاكسسورات والفرو والشنط اليدوية من سويسرا أو فرنسا وشيكات الأرصدة معها أين ما تكون وما عليها إلا التوقيع على هذه الشيكات.

والسهرات والليالي الحمراء في الفنادق الغربية.

وكانت تتباهى بثرائها ومقتنياتهما حتى أصابها الكبر والبطر على الناس، وهكذا صاحبنا عثمان انتقل من تيس عربي إلى تيس أسترالي وأصبح بيته بؤرة من بؤر الفساد باسم الحفلات البريئة: من رقص، وغناء، فكانت الليلة تكلف صاحبنا عثمان الآلاف من الدولارات. وهو لا يحس ولا يهتم.

وعاش هو وزوجته في عالم السكر الخيالي بتدمير الفقراء

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

والبؤساء بالقضاء عليهم باسم المخدرات على مختلف أصنافها .

وهم يمصون أموال الفقراء ودماءهم، ويخربون بيوتهم وتناسى هذا الشقي وزوجته الأنانية أن هناك جهازاً يسمى جهاز مكافحة المخدرات، رصدت الحكومات أموالاً طائلة لتطويره حتى تتمكن من تنظيف الأرض وحماية المجتمع من هذا الوباء الخطير المدمر.

الوقوع في المحتوم

وبدأت نهاية البداية، فقد تجمّعت بعض المعلومات من قبَلِ مباحث المخدرات عن هذا الشخص الذي أعمى الله بصيرته، وراقبته وراقبت تحركاته وخط سيره - حتى قبُض عليه وهو متلبس، وقد حكم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ حكم الله فيه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)﴾.

وكان جزاؤه قطع رقبتة «إعدامه».

وعندما علم أن مصيره هو الإعدام، كان يقول في خلوته: يا ليتني لم أفعل ما فعلت، يا ليتني سمعت نصيحة زميلي الذي أشار عليّ بتطليقها... يا ليتني... يا ليتني... ولكن يا

سر الحقيبة التي دمّرت حياتي

حسرتى ماذا أفعل حين أقف أمام رب العزة والجلال، وأنا الذي دمّرت شريحة لا يُستهان بها من المجتمع، ونشرت السموم، وخربت البيوت، وضيّعت الشباب، وأخذ يبكي بمرارة، ولكن لا ينفع الندم ولا البكاء.